والفكرية راسخة الاركان الى حد يجعل بامكان الجميع من اليسار حتى اليمين ان يتسلوا بمحاولة القضاء عليها. وحجتهم ان قوة التراث عظيمة بحيث يصعب حتى على من هم بعيدون عنه جدا ان يكسروا القوانين . وهذا يفسر عناية الفئات اليسارية فكريا في انكلترا عناية فائقة بتوسيع آفاق الثقافة والتربية وباعطائها قالبا ديمقراطيا . وهو يفسر ايضا سعي الكتّاب اليساريين في انكلترا وتفتيشهم عن الفضائل الخبيئة « لثقافة الطبقات العاملة » – وهو سعي اقلعنا عنه في الولايات المتحدة في آخر الثلاثينات. فبعض النقاد مثل رتشرد هوجرت (الذي احترم كثيرا من كتاباته) يصلون حدا يجعلهم في النهاية يؤلهون طريقة حياة لدى الطبقات العاملة تتأتى عن التأخر والحرمان . كما ان الفئات اليسارية، التي بطبيعتها تصب اهتمامها على فكرة الجماهير، تجد نفسها منساقة مع تأليه الجماهير ، الذي تبين انه ليس خيرا كل الخير على الثقافة ، لكنه خير على التجارة .

والسخرية في هذا الوضع ان الالتزام بالتراث الحديث يقرن بالمحافظين ، بينما تنبعث معارضته في العادة عن الفئات المتحررة واليسارية . وقد قادت المذاهب المتحررة واليسارية الطريق، كما قلت سابقا، الى الاتجاهات الاكثر وعيا اجتماعيا والاكثر شعبية والاكثر مساواة في الفن والفكر . فعندما يقوم ناقد مثل كنث تاينان مثلا بمهاجمة كتّاب كاوجين يونسكو وجان جينيه لما فيهما من تفاهة وحذلقة وبامتداح كتّاب آخرين كآرثر ميلر او المسرحيين الانكليز الشباب الذين يأخذون جانب الشعب ، يكون منسجما مع نفسه . ومن ناحية اخرى لا شك بان بعض الافكار « الاقلية » والمفرقة في التجديد قد ارتبطت بوجهات نظر اكثر محافظة وبكتّاب مثل اورتيغا ي غاسية و ت. س. اليوت – وان يكن يجب التمييز بين المذاهب والفن ذاته ، بين مقالات اليوت مثلا عن الثقافة وبين شعره ، وبصورة خاصة شعره المبكر. انا بصراحة لا اعرف الى اي مدى هذه الصلات بين وجهات النظر السياسية والثقافية هي طبيعية وضرورية ؛ لكن ربما كان المزيج المثالي هو الدمج بين سياسة ديمقراطية وثقافة لا ديمقراطية، وهو اشبه بما يمكن ان نحصل عليه اذا جمعنا مثلا بين الدكتور ف. ر. ليفز والسير تشارلز سنو .

لقد جرى التعبير بصورة دراماتيكية عن المحافظة على الروح التي اعطتنا الفن الحديث والفكر الحديث ، بفكرة الخيانة . فجاء اولا كتاب جوليان بندا « خيانة المثقفين » ، وفيه تقوم الخيانة على الانهماك بالسياسة. وصارت الخيانة تقوم فيما بعد على تجنب السياسة . وفي الآونة الاخيرة تغير الوضع تغيرا جذريا ، واصبحت الخيانة مسألة كون المرء غير صادق مع نفسه ومع حرفته ومع « طبقته » الفكرية . لكن اذا استمر سياق تقنين الثقافة وقتا طويلا ، فقد تختفي المسألة كلية . او ربما اصبح ما هو جديد ، وما هو صغير ، وما هو غير معترف به ، ربما اصبح يعدّ خيانة – لكنه بالطبع سيعدّ كذلك لفترة وجيزة فقط ، لانه اخذ يصبح من الاصعب فالاصعب تجنب الوصول الى الكبر والشهرة ، – وبسرعة .

وليم فلبس

المجلة الادبية ، أهي في طريقها الى الزوال ؟

اظن ان بوسع المرء ان يجيب على هذا السؤال بسؤال آخر : الادب ، هل هو في طريقه الى الزوال ؟ ذلك انه لا معنى لفصل الناقلة عن البضاعة التي تنقلها . ولا شك ان الجواب على كلا السؤالين هو ، في الوقت الحاضر ، النفي الواضح . فطالما بقي اي عدد من القراء ، المهتمين بالفنون والنقد اكثر من اهتمامهم باي شيء آخر ، فسيظل الكتّاب يكتبون وستستمر المجلات بالنشر .

غير اني اطرح السؤال عن « الزوال » كمسألة نسبية . فالقصد منه ان ننظر الى الاهمية النسبية للاهتمام الادبي من بين كل الاهتمامات الاخرى ضمن الكيان الشامل المعقد للحضارة المعاصرة – والقصد منه ان نقوم ببعض التخمينات عن الحاضر والمستقبل . فان استمررنا بلهجة السؤال ووضعنا السؤال بمصطلحات النشر قلنا : هل المجلة الادبية الخالصة هي الآن في طريق الانحدار الى مستوى مجلة الهواية ، بحيث ترادف تقريبا في الوزن الحضاري « مجلة الاسلحة القديمة » او « المجلة الشهرية للقوارب واليخوت » ؟ او هل هناك امل

ان تستعيد مكانتها الرئيسية نفسها التي احتلتها مجـــلات « ذي ديال » و « كرايتيريون » و « هورايزون » حينا من الدهر في الحياة الثقافية الحديثة ؟

عالج ستيفن سبندر هذين السؤالين في مقال افتتاحي نشر في العدد المئوي من مجلة « انكاونتر » ، وكانت استنتاجاته ذات اهمية لهذه المناقشة الراهنة . وقد استخدم في بحثه ذاك كلمة « أخبار » كمحـك" . يقول : « حتى تكون المجلة اخبارا ، يجب ان يتجه اليها القراء ليجدوا فيها كتابات قيد العمل ، تبعث النشاط ، وتجري التجارب ، وتترك اثرا يحتذى ، وتقلق القارىء وتشوشه ، وتبعث فيه الهياج والاختمار ».ويستطرد للقول ان الشباب كانوا يقرأون مجلات مثل « ترانزيشن» و «ذي ترانس اتلانتيك ريفيو »و«ذي ايفويست» يملأهم الامل الكبير بانها ستغير حيواتهم . وهو يلاحظ ان تجارب جويس او باوند او لورنس او بيكاسو او شونبيرغ كانت في ذلك الحين « اخبارا » فائقة الاهمية بحيث انها طمست كل شيء آخر على الافق الفكري . الا ان هذا ، في عقدنا الحالي ، عقد الستينات ، لم يعـــد صحيحا . فهو قد يقول ان المرء لا يقرأ لورنس وريل او صموئيل بيكيت او روبرت لويل بنفس الاحساس بالحدث او الاحساس بالقدرة على التغيير . بـل ربما امكن القول ان القارىء يأمل فعلا ان مسرحية مثل « صلة الوصل » او قصيدة مثل « زعيق » لن تغير حياته – هذا اذا كان واعيا هذه الايام لتلك الفكرة على الاطلاق .

ويمضي سبندر في مقاله فيقول ان التغيرات الرئيسية في الفكر لا تتخذ الآن ، كما كانت تفعل فيما مضى ، شكلا ادبيا ، بل تحدث في حقول العلم والسياسة والمجتمع. فانما هي هذه المجالات التي نلقى فيها الافكار التي تغير افكارنا او حيواتنا . يقول : « اننا نعيش في ثورة علمية واحدة على الاقل ، وعدة ثورات اجتماعية : ثورات في البناء الطبقي ، وفي التعليم ، وفي مستويات المعيشة في بلدنا ؛ ثورات في العلاقة بين الشعوب المختلفة جنسا ولونا – وهي ثورات ستؤثر في النهاية على علاقاتنا ببعضنا البعض وعلى نظرتنا لحضارتنا الخـــاصة » .

وهناك دليل آخر ، هو ان اكثر المجلات البريطانية ذات المستوى الراقي قد اتبعت نفس المسار . لقد تطور الزمن منذ صدور مجلة « الكتاب الاصفر » الشهيرة في نهاية القرن ، باجزائها الثلاثة عشر كلها، دون ان تشير اشارة واحدة لاي من سولزبري او بلفور او جوزيف تشيمبرلين . اما في خليفاتها الحاليـــة (اذا استثنينا « ذي لندن مغزين » ومجلة او مجلتين سواها) فمن الاسهل جدا ان نجد مقالات عن سياسة حزب العمال ، او عن آثار التلفزيون ، او عن مشكلة انحراف الصغار ، من ان نقرأ قصة قصيرة او قصيدة .

وقد سيكون من الاصعب بكثير ان نجد نموذجا ثابتا ما في المجلات الامريكية . وباستثناء عدد ضئيـــل من المجلات ، فان التاريخ الحقيقي للمجلة الادبية في الولايات المتحدة بدأ حوالي سنة ١٩١٠ . ومن بين اول واشهر الامثلة ، مجلة « ذي ماسز » ، التي عاشت منذ ١٩١١ حتى ١٩١٧. وكانت اهتماماتها موزعة بين السياسة الراديكالية والكتابات الجديدة ، وكان من بين كتّابها وولتر لبمان و راندولف بورن و جون ريد ، الذين ظهروا فيها الى جانب شعرائها وقصاصيها . ويجد المرء ، خلال التاريـــخ القصير للمجلة الامريكية الصغيرة » ، سلسلة من العناوين مثل « المحرر » و « الجماهير الجديدة » و « جبهة اليسار » . هذه المجلات وكثير غيرها مما ظهر في العشرينات والثلاثينات كانت لديها اهتمامات اجتماعية من نفس النوع العـام الذي يذكره سبندر – رغم ان المواضيـع ذاتها كانت مختلفة . فـكانت الماركسية ، والتحليل النفسي ، والحريات المدنية ، والرقابة ، من جملة المواضيـع ، وكان يبدو ان التغير الحيوي في الافـكار يسير في تلـــك المجالات ذات. غير ان هذه المجلات كانت متباينة في النوعية لدرجة ملحوظة – فكانت نزاعة للجدل، او متعصبة لآرائها ، او شديدة النزوات . وقد وقف حجر عثرة في طريق هذه المجلات جميعا ، انعدام التقليد الثابت المستمر للنقد الاجتماعي والحضاري في امريكا .

وخلال الاعوام العشرين الماضية تغيرت الاشياء تغيرا كبيرا . ومجلة « ذي بارتيزان ريفيو »، وهي الخليفة الحالية لهذا التيار من المجلات ، توضح هذه النقطة اكمل توضيح. فـكانت قد انشئت لتنطق باسم نوادي جون ريد في نيويورك عام ١٩٣٤ ، ثم اتخذت بعد ذلك موقفا تروتسكيـا . وكانت خلال ايامهـا الاولى تحصر اهتمامها بالسياسة اليسارية ، الا انها مع مرور الزمن وسعت افق اهتمامها حتى غدت الآن من افضل ما ظهر

من نوعها في امريكا على الاطلاق . انني اعتقد اننا قد نضجنا الى درجة كبيرة في قدرتنـــا على تطبيق بعض مقاييسنا الفكرية الواسعة على مجتمعنا وحضارتنا ككل ، خلال العقود الثلاثة او الاربعة الماضية، واظن ان « ذي بارتيزان ريفيو » قد اسهمت اسهاما كبيرا في هذا الاتجاه . فهي ، من ناحية ، عرّفت القارىء الامريكي على شيء من النقد الحضاري الاوربي في مقالات كمقالة كامو « اسطورة سيزيف » ومقـالة سارتر « الكتّاب والمسؤولية » ، وهي ، من ناحية اخرى ، قد نشرت الى جانب ذلك مساهمات امريكية ، منها مقالة اليوت « ملاحظات نحو تعريف للحضارة » ومقالة ليونيل ترلنغ «الفن والنرطقة» . وباختصار، فان « ذي بارتيزان ريفيو » قد التقت بطريقة ما مع تعريف ستيفن سبندر للشكل الصحيح للمجـلة الفكرية الحديثة ، خلال السنوات القليلة الماضية .

الا ان ما تجدر ملاحظته هو ان هذه المجلة لم تفتح صدرها ابدا للجزء الثاني من اقتراح سبندر القائل بان الادب والفنون – لانها لم تعد «اخبارا » بالمعنى الذي كانته في الماضي — يجب ان تقبل دورا ثانويا صغيرا في مخطط المجلة الفكرية . فقد اصرت دائما على عكس ذلك ، وكانت المقالات النقدية والابداعية التي نشرتها جزءا من قوة المجلة . وعند هذه النقطة بالذات آتي لما اعتقد انه خطأ حقيقي في مقال سبندر .

يبدو ان من بين افكاره الضمنية ان المجلات هي على التحديد مجرد منافذ او اجهزة للتعبير عما تجري كتابته – وان عليها ان تكيف نفسها وتنشر كل ما هو « اخبار » في الفكر المعاصر. وهذا يبدو لي افراطا في اتباع الزيّ الجاري من الامور ، بل نوعا من الخيانة ايضا . فمن بين الفروق الشاسعة بين المجلة التجارية والمجلة الفكرية ان الاولى تسعى دائما الى ان تقدم للقارىء ما هو مطلوب في لحظة الطبع ، بينما تحـــاول الثانية ان تقدم ما هو ، في نهاية المطاف ، جدير بالتقديم ، دون ادنى اعتبار للنزوات الآنية . وعلى هذا ، ومن وجهة نظري على الاقل ، فان المجلة التي تستهوي الذكاء والعقل هي ايضا المجلة ذات الشخصية المتميزة، وهذه الشخصية غالبا ما تصر على ما ينبغي ان يقرأ وما ينبغي ان يشغل اذهاننا، وليس على مجرد ما يحدث ان يكون ذلك . وانا اعتقد ان هذه الشخصية تلعب دورا خاصا فيما يقرأ مع مرور الزمن. وعندما ينحسر الدور الادبي لمجلة كبرى، لمجرد انه لم يعد لديها جويس او بيتس لتنشر لهما، فانها تسهم بالتدهور العام للادب، وتجعل من الصعب احلال موجة جديدة او اهتمام جديد .

ان ستيفن سبندر شاعر مرموق، ورجل ادب نافذ البصيرة ، وانا لا اريد اتهامه باي كره للادب الخلاق. انما اعتقد انه، في تصريحه ذاك، قد تخلى عن بعض المسؤوليات الكبرى بشيء من عدم التفكير. والمسؤوليات التي اقصدها تتعلق بالتحرير – ومن هنا ينبع دوره كحكم ، حتى ولو كان حكما غير محبوب. ان ما يقوله هو ، بمعنى من المعاني ، اننا نعيش في عصر صحافة ، فلم لا تحاول مجلته ان تنشر افضل ما يمكـن من المادة الصحفية ؟ (ينبغي ان اقول هنا انني استخدم هذه الكلمة بالمعنى الحسن ، ليتضمن التعليق الذكي على كل المواضيع التي تتناول الحقائق . ويعطيني سبندر هذه الفرصة باستخدامه لكلمة « اخبار » بنفس الطريقة). واختلافي معه في الرأي ينشأ عن تحيز قديم له اعتباره – ذلك هو المفهوم القائل ان اية مجلة فكرية تستحق هذا الاسم يجب ان تسير بالاتجاه المعاكس لتيار عصرها . يجب ان تؤكد وترفع شأن هذه الاشياء القيمة التي يبدو ان العصر يتجاهلها ، حتى ولو كان الطلب على هذه الاشياء قليلا نادرا . ان عليهـا ، في عصر متراخٍ متهاون راضٍ عن نفسه ، ان تمارس نقدا حضاريا شديدا . وعليها ، في عصر يميل ميلا شديدا للمقـــالات والريبورتاجات الصحفية الممتازة وللتفحص النقدي، ان تعمل كل ما بوسعها لتحافظ على الخيال والحس والتأمل الفلسفي وان تعمل على تشجيعها .

حين يقول سبندر ان علينا ، لان الاحداث تحيط بنا ، ان نصبح صحفيين ، فانه انما يسيء الحكم على مجلته هو وعلى ميزاته كمحرر . ان لديّ شعورا قويا – وهذا ما يعتقده الكثيرون ممن تحدثت معهم – ان « انـكاونتر » مدينة بالكثير من اسباب نجاحها الى كونهـــا قد نشرت فعلا شيئا لاحسن الكتّاب المبدعين والنقاد في زماننا . فالفرق الاساسي بين « انـكاونتر » وبين مجلة مثل « نيو ستيتسمان » او « ذي ريورتر » هو ان « انـكاونتر » تنشر اعمال وليم غولدنغ ، و روبرت لويل ، و فلاديمير نابوكوف ، وانغس ولسون و

و نادين غورديمر ، وفرانك كيرمود ، واشعيا برلين ، و ادموند ولسون، و سيريل كونولي، و ايريس مردوك فضلا عن كثيرين غيرهم. ان اعمال هؤلاء الناس ذات وزن واهمية لا من الداخل فحسب ، بل لانها جزء لا يتجزأ من حضارة العالم الناطق بالانكليزية . واذا ما كنا ، كقراء ، جزءا من هذه الحضارة ، فان هذه الكتابات تخصنا .

غير ان هناك جانبا من صفحات « انكاونتر » ، من الناحية الاخرى ، لا يخصني بنفس الطريقة ابدا . انه بينما هو ، في اغلب الظن ، مليء بالمعلومات الحقيقية ، حسن الاسلوب ، ذكي التحليل ، الا انه قد يكون في نفس الوقت ناشزا باعمق معاني الكلمة . لقد تعلمنا انه ، كيما نكون مواطنين اذكياء في هذا العالم ، علينا ان نعرف امورا كالتي تنشرها المجلة ؛ولكن في حين ان هذه الامور قد تمس حياتنا مسا مباشرا احيانا قليلة وغير مباشر في احايين كثيرة، فانها لا تمس كياننا الداخلي. انها جزء مما قد يدعى بوجودنا الصحفي،ولكنها لا تستثير اعمق مشاعرنا . وعندما يتكلم سبندر عن الشباب الذين تطلعوا حينا من الدهر نحو المجلات بحثا عن شيء « يغير حياتهم»، فلعله كان يفكر في ذلك البيت من قصيدة ريلكه:«يجب ان تغير حياتك ».ولكن المتكلم بهذا البيت في القصيدة ليس مقالة عن اعادة توحيد المانيا او عن الاقتصاد السوفييتي ، بل هو تمثال عتيق لابولو – عمل فني ، عمل من ابداع الخيال . ولن يكون هناك بديل عن ذلك .

قلت ان هذا العصر عصر صحافة ، واقصد بهذا ليس مجرد التقارير الاخبارية بل كل نظر وحكم وتحليل في وقائع هذا العالم . ويجب ان اضيف هنا الكتابة في حقول السياسة والاجتماع والاقتصاد والانثروبولوجيا والعلم . هناك قدر كبير من الكتابات حول هذه المواضيع مما هو تكنيكي صرف تنحصر اهميته في ذاته – وهذا لا يهمنا هنا . وهناك قدر اكبر مما يقصد فيه التفسير والتطبيق على النواحي الاجتماعية الاوسع مدى ، ولكن يتضح في النهاية انه يكاد لا ينيرنا مطلقا . الا ان وجود ذلك القدر الكبير من تلك الكتابات — اكبر مما كتب في اية فترة اخرى في التاريخ – ادى الى وجود جزء وافر منها يتصف بالدقة والصحة والامتلاء بالنظرات النافذة . ونشر افضل ما في هذا يعني الاسهام في بناء مجتمع واعٍ ، مجتمع اكثر نجاحا ، وربما مجتمع اخلاقي حقا . انني لا اشك باهمية ذلك الهدف. فالواقع انه يمثل اتفاقا شاملا للضمير في عصرنا.ولكني لا اعتقد الا ان اشعر بان هذا الاتفاق قد اقصى شيئا آخر كنا نعتبره جزءا رئيسيا في الطموح الانساني . واشير اليه بهذه الطريقة : سمعت مرة في اجتماع لاحدى الهيئات استاذا من جامعة شيكاغو يقول ان هدفنا الوحيد في التربية يجب ان يكون تعليم الطلاب كيف يصبحون مفيدين واعضاء منسجمين ومتكيفين مع المجتمع . وخطر لي الخاطر التالي : كم سيشعر ذلك الرجل بالغم والتعاسة لو ان احد طلابه اصبح فيما بعد دستويفسكي ، او فاغنر،او فان غوخ جديدا.لم ينتم احد من هؤلاء الى مجتمع.كانوا يستثيرون المجتمع – ولكنهم جميعا كانوا ينتمون الى مدنية وحضارة .

انا واثق اني لا اجيء بشيء جديد مدهش حين اقول ان بعض الامثلة الرائعة على المدنية والحضارة قد خلقت ونمت وسط مجتمعات سيئة او حمقاء جدا ، او ان بعض المجتمعات الطيبة والحسنة التنظيم لم تنتج من الروائع ما خلد اكثر من شواهد قبورها . ولكن ما لا يطاق بالنسبة للانسان المتمتع بضمير اجتماعي جيد ، يفكر بعدم وجود رابط سببي بين الحقائق الواقعة لحكومة حسنة والتعليم العام والسلوك المنظم وبين التمجيدات الرائعة التي ندعوها فنا او علما خالصا او فلسفة . الا ان تلك الروابط زهيدة ، والموجود منها مرضي . فالمجتمع الجيد اخلاقي ، ولكن المدنية ليست اخلاقية او لا اخلاقية ؛ انها عبقرية الانسان الخاصة. والوسط كل مظاهر الارتباك والاضطراب في دنيا الحقيقة في هذا العالم ، يوجد هذا اللغز الخاص المسمى بالحرية . وهي تظل حية لا لانها تساعدنا على تنظيم حياتنا بشكل عملي افضل، بل لان عددا معينا منا يشعر بان حياتنا ستكون اكثر جفافا وقحلا بدونها . وباننا سنحاط في الوقت نفسه بما هو قبيح ومفيد من ناحية ، وبما هو قبيح ولا نفع فيه من الناحية الاخرى . لقد مرت فترات طويلة كان فيها الناس عاجزين عن الافعال الخلاقة التي تضيف شيئا للمدنية . فلم يكن هناك ، على سبيل المثال ، سوى القليل من اهل روما القادرين على الاسهام فيها بشيء ، وكان اهتمام العالم الروماني منصبا بالدرجة الاولى على ايجاد مجتمع طيب منظم . ومع

ذلك فان الرومانيين دافعوا عنها ، وحافظوا عليها ، وقلدوها ، وسلموها لغيرهم .

والآن ، وبغية تطبيق بعض هذه التعميمات الجارفة على موضوعي الراهن ، اقول ان هناك بعض النشاطات الموروثة المنوطة بنا ، التي هي في نهاية المطاف سبيلنا الى الحفاظ على هذه المدنية والى ادراك معناهـــا والى اعطائها فرصة لحياة قادمة قد تكون ابهى مجدا من كل ما شهدناه . واحدى هذه الطرق هي البحث والنقد المتسمان بالوعي والذكاء ؛ وطريق اخرى هي الاضافة لها – للمدنية – على قدر طاقتنا ؛ وطريق ثالثة هي توصيلها او نقلها . في هذا النشاط الاخير تجد المجلة الثقافية دورها الصغير لكن الهام . لم نكن نحن ، آهلي المنطقة الناطقة بالانكليزية من المدنية الغربية ، ذوي مواهب عظيمة كنحاتين ، او رسامين ، ولسنا نملـــك عبقرية عظيمة في مجال الموسيقى . لقد كان اعظم اسهام لنا في مجال العلم وفي حقـل اللغة – في الفلسفة والادب . وعلى هذا فاهتمامنا الخاص يجب ان ينصب في جانب من جوانبه على فن الادب . هل تسير المجلات الادبية نحو الزوال ؟ ان كان الجواب ايجابيا ، فتلك اشارة الى ان كل مـا نمارسه من فنون الادب يسير نحو الزوال. وان كان هذا صحيحا، فهذا يعني بالتأكيد ان لغتنا كشكل من اشكال التعبير المتمدين هي في طريقها الى الانحلال . ليست هذه اسئلة عابرة ، ولا اظن ان الجواب عليها يمكن ان يكون جوابا عابرا .

احب الآن ان اعود الى الخلف قليلا لاناقش بمزيد من التفصيل تلك الوظيفة التي ذكرتها قبل قليل ، اعني – بشكل عام – وظيفة حماية وتوسيع ذلك الجزء من المدنية الذي يعبر عنه بالكلمات ، وعلى التعيين وظيفة المجلة الادبية ضمن الدافع العام .

ظهرت مجلاتنا الادبية الامريكية ، كما قلت ، حوالي عام ١٩١٠ فما بعد. ومن الممكن تلخيص التاريخ العام لاحدى تلك المجلات « الصغيرة » الاولى على الشكل التالي: يجد ثلاثة او اربعة شبان امريكيين انفسهم في اوربا بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة. ويملكون رصيدا صغيرا من الدولارات تسنده ودائع ثابتة تقريبا من هارتفورد في كونكتيكت او من انديانابوليس في انديانا. وقد قابلوا غرترود ستاين و ازرا باوند و فورد مادوكس فورد . افكارهم ملأى ببعض المبادىء السياسية الغائمة . الا انهم متحمسون فوق كل شيء للشعر ويحبون في هذا المجال ان يروا كل ما في العصر الفكتوري يزاح ليحل محله شيء مطلق الجدة. لقد ظل ازرا باوند يقول لهم : « اجعلوه جديدا » وآمنوا بحماس بما يقول . الشيء الوحيد الممكن هو ان ينشئوا مجلة .

وهكذا مضوا في انشائها. وركبوا موجة الحماس الادبي الجديد وساهموا فيها . ولربما كان نصف ما طبع سيئا جدا : مهووسا وسخيفا و « تجريبيا » دونما هدف . وكان ربعه يبعث على الاحترام لكنه بـلا موهبة ولكننا قد نجد بين ذلك كله قصة لهمنغوي او قصيدة لهارت كرين، مما يجعل كل ذلك الجهد والصخب ذا قيمة وجدارة ، حين نسترجعه في فكرنا الآن . وفي هذا المجال كانوا يمارسون وظيفة من الوظائف الحيوية حقا للمجلة الادبية : الا وهي تجديد فن الادب لجيلها المعاصر .

ان هذا الذي وصفته هو، بالنسبة لمعظم الامريكيين الذين يفكرون بالامر، وعلى الاخص بالنسبة لاولئك الذين ترعرعوا خلال تلك الحقبة ، المجلة الادبية حقا ، والضرب الوحيد مـــن المجلات الذي يستحق هذا الاسم . واذا شئنا التعبير عن ذلك على شكل تعريف ، قلنا انهم يعتقدون ان الواجب على المجلة الادبية ان تكون مجلة هواة في عملها ، وان تكون نتاج مجموعة من المتحمسين ، واهم من ذلـك كله ، ان تكون تعبيرا عن حركة طلائعية. بل انه من الافضل الا يزيد عدد المبيعات منها عن ٥٠٠ نسخة . فـاذا ما زاد توزيعها عن ذلك تبادرت الى الذهن الشكوك بانها سقطت الى درك التجارة .

ان المجلات « الصغيرة » من هذا النوع ما تفتأ تنشأ وتذوي ، وان يكن ربمـــا دون ذلك الاحساس بالهيجان او ذلك الشعور بوجود رسالة جديدة، مما كانت تتسم به خلال العشرينات؛ ومع ذلك فهناك حوالي ثمانين او تسعين مجلة كهذه في امريكا في الوقت الحاضر – مثل « الستينات » و « التمرد » و « الغريب » و « ديسمبر » . بل ان اسماء هذه المجلات هي نفسها ذات مسحة فيها تذكار وحنين للماضي – رغم انها تفتقد تلك الصرعة الداداثية التي اتصفت بها سابقاتها ، من امثال «بقرة غرينتش فلدج الجديدة» و«البطاقة المغضبة » و « عين النمر » و « على مهلك يا أخ » و « الحصان الضاحك » . ان بعض هذه المجلات لا بأ

ها ، رغم انه ليس بينها من هي جديدة تماما ؛ والواقع ان غالبيتها عنيفة ورجعية جدا بمعنى من المعاني ؛ وحين يقرأ المرء ما فيها من شعر حر ومن قصائد صورية وشبيهة بالقصائد اليابانية ، وما فيها من قصص تستخدم تيار الوعي ، فان من المحتمل ان تعود به الذاكرة الى الماضي لا ان تنتقل به الى المستقبل .

في الى جانب هذه المجلات اخذ نمط جديد من المجلات يتطور في الولايات المتحدة خلال العقود الثلاثة الماضية . ولربما كان الاصح ان نقول انه نمط قديم في اوربا وانكلترا ، لكنه جديد في امريكا — الا وهو المجلة الادبية » . لقد كان عندنا فعلا عدد قليل منها ، نذكر منها « ذي اتلانتيك منثلي » في القرن التاسع عشر ، الا انها تغيرت منذ زمن طويل . اما الحصيلة الجديدة في الثلاثينات والاربعينات فقد حوت كلا من « ذي صظرن ريفيو » و « ذي كنيون ريفيو » و « ذي هضصن ريفيو » ، كما حوت «ذي بارتيزان ريفيو» و « ذي سيواني ريفيو » بشكلهما الجديد. كانت هذه المجلات اكثر جدية واتزانا من المجلات « الصغيرة »، التي انحدرت من خط « ذي ديال » و « هاوند اند هورن » لا من خط « بلاست » و « سفن آرتس » . لقد كان مستقرهما الروحي (وان لم يكن الواقعي في جميع الحالات) هو الجامعة ، وليس غرفة مزدحمة في غرينتش فلدج البوهيمي في نيويورك او منضدة في مقهى ما في الحي اللاتيني في باريس . وكانت وما زال افضل اخراجا وتمويلا وتحريرا واطول حياة من المجلات « الصغيرة » السريعة الزوال. الا ان الفرق الكبير ، الفرق النوعي ، بين هذين الضربين من المجلات هو ان « المجلات الادبية » قد شددت على النقد الادبي . فهي تنتمي الى فترة من التقييم الادبي اكثر مما تنتمي الى فترة من الخلق والابداع الباذخ .

ان هذا النوع من المجلات ، بالنسبة لمن تشكل مفهومه عن المجلات الادبية خلال العشرينات ، مخيب للآمال . وقد عبر وليم باريت ، الذي كان لزمن ما رئيسا لتحرير « ذي بارتيزان ريفيو » ، بشكل جيد عن هذا الرأي حين دعا المجلات الحالية « رصينة رزينة » و « اكاديمية » و « فاقدة للحيوية والنشاط» التي اتصفت به المجلات في ايام الثورة الادبية .

ان هذا الزعم قدر من الحقيقة لا ينكره احد، وقدر آخر من خداع النفس والالتفات بحنين الى الماضي. صحيح ان حمى وحماس « اجعلوه جديدا » بالمعنى الذي ساد في العشرينات مفقود الآن . لكن ثمة ، من ناحية الاخرى ، شيئا خاصا في المجلات الحديثة لن يفهمه ويستوعبه المراقب السطحي . فعلى الرغم من تماثل كتابة وتفكير الجامعات اكثر من سابقاتها ، الا ان هذه الكتابة وهذا التفكير غالبا ما يتصفان بالاكاديمية ، او انهما معاديان احيانا كثيرة للروح الاكاديمية بالمعنى العميق . فالحقيقة ان المصالح الثابتة للعالم الاكاديمي غالبا ما تعتبر المجلات الادبية «مخربة » للحد الذي اعتبرت دائرة البريد الامريكية مجلة مارغريت اندرسون « ذي ليتل ريفيو » مخربة، فاحرقت ثلاثة اعداد منها لانها كانت تحتوي على مقاطع من «يولسيز». لقد انت امتدحت افكار كتّاب كهارولد روزنبرغ او لسلي فيدلر او بول غودمان من بين كتّاب هذه المجلات امام الاساتذة والباحثين في الجامعات الامريكية ، فانك ستدرك ما اعني .

بيد ان ما اريد تبيانه هنا هو ان هذه المجلات تختلف نوعيا اختلافا كبيرا عن المجلات « الصغيرة » التي كانت في الماضي . ان لها تفكيرا مختلفا تماما ، والثورة التي تسهم بها ثورة هادئة واسعة المدى ، وليست ثورة « على المكشوف » كما كانت ثورة الايام السابقة التي اتصفت بعلو صوت المعارضة وبالطلائعية المحطمة لاصنام التقاليد .

لقد كانت ثورتنا الادبية خلال العشرينات ، رغم كونها خلاقة ، ثورة جاهلة الى حد كبير . لا اقصد انه على القراء والكتّاب المسرحيين ان يكونوا نقادا ايضا ، بل اقصد ان اي مسار جديد في الادب يزداد قيمة وعمقا كبيرا اذا رافقه شيء من الذكاء ومن الفهم للمقاييس ومن المعرفة للاهداف الاخيرة . لقد وجد كتابنا كثيرا من العراقيل امامهم لاننا لم نكن نملك اطلاعا حقيقيا على ماضينا الفكري ، ولم تكن لدينا ممارسة نقدية بخصوص ما لا يستحق ان يفعل، وكان فهمنا لما نريد ان تكون عليه مآثرنا، فهما غائما ضئيلا. باختصار، كان كتّابنا في وضع يحاولون من خلاله الاسهام اسهاما حيويا في تغيير حضارة لم يكونوا يعرفون عنها الا النزر اليسير. اننا في عهود الفن الميتة نرث اخطاءنا ؛ اما في العهود الحية ، فاننا نخلقها .

كانت المجلة الفصلية الادبية اذاً محاولة لتحقيق ما طالب به الناقد ادموند ولسون («ان ما نفتقده في امريكا ليس هو الكتّاب، اوحتى الاحزاب الادبية ، وانما هو ببساطة النقد الادبي الجاد») . وانا امثل احدى هذه المجلات الفصلية الادبية ، ولكنني اريد ان اقول ما كان ليقوله كل ناقد عاقل في هذا الموقف : ان النقد لا يقوم بذاته مطلقا ، بل هو يوجد فقط كخادم وكمستشار للخلق . ان بوسعه ان يخلق جوا يستطيع فيه الشاعر ان يعرف معرفة افضل ما هو الشعر الجيد، كما يمكن للنقد ان يهيء للشاعر قراء يعرفون ذلك ايضا، ولكنه لا يستطيع مطلقا ان يكتب قصيدة ، حتى ولو كانت رديئة . كما انه لا يستطيع ان يحطم قصيدة جيدة ، حتى ولو حاول .

اما وقد قلت هذا فيمكنني ان امضي الى القول ان جيل النقاد المحدثين بلغ ، على طريقته الخاصة ، من الروعة ما بلغه اي جيل من الشعراء او الخلاقين باللغة الانكليزية . ولم يمارس النقد من قبل ابدا بما يمارس به اليوم من حدة في الادراك او تنوع في وسائل المعالجة . وليس هذا هو المكان الذي يمكننا فيه وصف المنجزات الرائعة لاولئك الرجال ، وكل ما استطيع عمله – على سبيل التذكير – هو ان اذكر اسماء مثل: ادموند ولسون ، ت. س. اليوت، ر.ب. بلاكمور ، ليونيل ترلنغ، ف. ر. ليفز ، سيريل كونولي، جون كرو رانسوم ، الن تيت ، ايفور ونترز ، كلينث بروكس – ويمكن ان يضاف لهذه القائمة الى ان تملأ صفحة او يزيد . وقد جرت العادة في امريكا على اعتبار من يدعون « بالنقاد الجدد » كممثلين لهذه الفترة، الا ان الحقيقة هي ان طريقتهم ما هي الا واحدة من بين طرق التحليل الكثيرة التي يتم استخدامها .

لقد شعر ولسون ان على النقد ان يثير «اهتمام الفكر المتيقظ بمضامين ما يقوم به الفنان، اي بمسؤوليته» وقد اتجهت هذه الثورة في النقد ، الى حد كبير، نحو هذا الهدف. فهي لم تضع مستويات عالية يحكم بموجبها على الكتابة المعاصرة، فحسب، بل كانت مأثرتها العظمى تطويرها نوعا جديدا من النضج في الفكر الامريكي عن طريق النظر نظرة جديدة الى الماضي الخلاق . ففي خلال محاولة تلمس اعمق المعاني لدى عقول كعقل ملفل او هوثورن او جيمز ، اضاف النقاد اضافات عميقة لفهمنا لانفسنا كامريكيين افراد وكجزء من حضارتنا الوطنية. بل ان هؤلاء النقاد ذهبوا الى ابعد من ذلك، الى الاعمال العظيمة في الحضارة الانكليزية والاوروبية لفحصها من جديد على ضوء تفكيرنا الخاص.

هذا كله كان ثورويا بشكل عميق وباعثا على الاضطراب بالنسبة للمصالح الجامعية . فقد كانت الجامعات تنظر للادب دائما – مع بعض الاستثناءات التي تستحق الاحترام – باعتباره مزبلة للباحثين. كان المفروض فيه ان يغربل ويصنف لعرضه في المتحف باشكال شتى – لغوية وبيوغرافية واجتماعية وما الى ذلك . وكان النقد عملية مسلية للكتّاب الهواة ولم يكن ينظر اليه بجدية . لكن الجيل الجديد من النقاد اصر على النظر للادب كفن ، واصر على القيام بانواع شتى من الاحكام التقييمية،الامر الذي بدا للجامعيين متسرعا وخطيرا وغير مشروع بشكل ما، فبدت هذه الحركة المصرة على اعادة التقييم كأنها حركة راديكالية من اسوأ الانواع اذ كان يمكن ان تنتهي بقلب مفاهيم الكتب المدرسية . بل انها فعلت ذلك، الى حد ما .

لست اقصد القول انه لا يوجد في بعض الجامعات الامريكية من يهتم بعدّ الاشارات للطيور في اعمال شيكسبير او يقوم باستقصاء واسع يشبه عمل الباحث الفرنسي الذي احصى بعناية عدد فناجين القهوة التي شربها بلزاك اثناء تأليفه « للهزلة البشرية » (كان العدد ٥٠٠٠٠ تقريبا).الا ان الاتجاه العام للدراسات الادبية قد تغير مع الزمن واصبحت الطرق النقدية جزءا من التعليم. والواقع ان قبول ذلك قد زاد الى درجة اتساءل معها احيانا عما اذا لم يكن الاكاديميون ، مثلهم مثل الصينيين ، قد اصبحوا في طريقهم الى ادمان غزاتهم بأنفسهم. ان عد الرموز او تقصي نقاط الغموض يمكن ان يكون في مضمار البحث مشابها لعد فناجين القهوة من حيث انعدام الروح الخلاقة فيه .

يبدو لي ان هناك امرا مهما واحدا اخفق النقاد المحدثون والمجلات الفصلية النقدية المعاصرة في القيام بالوظيفة الضرورية فيه : الا وهو الاهتمام باللغة واستعمالها . لقد كان ذلك شغل ا . ا . رتشردز الشاغل، ولدى كل ناقد بطبيعة الحال شيء يقوله عن استخدام الكلمات في المجال الخاص الذي يبحثه . ومع ذلك

اشعر انه لم يبذل جهد مركز للقيام باستعراض نقدي للحالة الراهنة للغتنا ، او لمقاومة ما يعتقد كثير من الناس انه انحلال حقيقي في قواها. لقد ابتدع نفر من احسن نقادنا – مثل ر . ب . بلاكمور – لانفسهم اسلوبا غامضا . بينما ابدى غيرهم تساهلا مفرطا في مواضيعهم –واظن ان نقاد فوكنر غالبا ما كانوا مفرطين في التساهل . ولا استطيع ان اتذكر سوى مقالات قليلة معدودة في المجلات الفصلية الادبية التي تبدي نفس الاهتمام الشديد الذي عبر عنه روبرت غريفز او جورج اورويل – منها مقالة ولارد ثورب « جدار الانكليزية يتصدع » التي ظهرت في « انكاونتر » ، ومنها مقالة جورج ستاينر « تدهور الكلمة » التي ظهرت في « ذي كنيون ريفيو » . ويبدو لي ان هذا الموضوع يجب ان يبحث بحثا مستمرا شاملا .

هناك نقائص اخرى في المجلات الفصلية الادبية الامريكية – لا ينبه احد اليها قدر ما ينبه اليها رئيس التحرير . الا انني اعتقد انها كانت على العموم ناجحة ضمن حدودها الخاصة . والانتقاد الذي يوجه اليها غالبا من الخارج هو انها مجلات نقدية خالصة تقريبا،ولا تشجع المواهب الشعرية والقصصية.وليس هذا بصحيح. فاي استعراض سريع لفهارسها يمكن ان يستخرج اسماء تمثل احسن الكتابات الامريكية خلال العقدين او الثلاثة الماضية – اسماء مثل : صول بلو، ورالف اليسون،وجين ستافورد ، ويودورا ولتي ، وهربرت غولد، وبرنرد ملمود، ورايت موريس، وروبرت لويل ، وجيمز بولدوين ، و . د . سنودغراس ، و ج . ف . باورز ، وتنيسي وليمز . وقد نشرت هذه المجلات ،فضلا عن ذلك ، اعمالا لكامو ، وباسترناك، وبريخت، وموافيا ، ويونسكو ، وغيرهم من الكتّاب الاوربيين ، من قبل ان يصبحوا معروفين في الولايات المتحدة. وما يزال صحيحا ، مثلما كان الامر قبل عام ١٩٤٠، ان حوالي ٨٠ ٪ من الكتّاب المبدعين والموهوبين يظهرون اولا في المجلات « الصغيرة » والفصلية . اما الذين يشكون من انعدام الروح الجديدة او الكتابات الطلائعية فهم انما يشكون من الفترة نفسها ، لا من المجلات .

ان هذه التهمة بالذات ، ان وجهت التوجيه الصحيح ، يمكن ان تكون حافزا قيما . ومن اوضح الامثلة على ذلك مقالة رندل جاريل المسماة « عصر النقد » ، التي يقول فيها :« ليس من الغريب انه في بعض الامكنة التي يكثر فيها النقاد ويتعاظم تأثيرهم يقل عدد الذين يكتبون (وعندما اقول « يكتبون » فاني اقصد يكتبون القصص والقصائد والمسرحيات) ...ذلك اننا سرعان ما نرى ان عصر النقد ليس هو عصر الكتابة ، وليس عصر القراءة : انه عصر النقد . ان الناس ما يزالون يقرأون وما يزالون يكتبون – بشكل جيد،ولكن عملية النقد بالنسبة للكثيرين منهم هي التي اصبحت العملية الرئيسية التي تمثل المثقف». وهناك شاعر آخر هاجم النقد لانه اخذ بازدياد يتحدث الينا من علٍ ، هو كارل شابيرو ، الذي كان هو ايضا رئيس تحرير لمجلة . ففي كتابه « دفاع عن الجهل » يرى شابيرو ان النقد الحديث — او معظمه – ذو سيطرة عميت على الشاعر . وقد ارتفعت اصوات سخط قوية غير هذين الصوتين .

ربما كانت هذه علامات تبعث الامل . ولعلها ارهاصات بروح جديدة وبموجة جديدة من الجهد الخلاق . اختباري قارئا وكاتب قصص ومحررا، ارجو ان يكون الامر كذلك . لكني في الوقت نفسه ارجو الا تكون دروس النقد الجيد ، والا تكون الثورة التالية في الادب الامريكي ثورة جاهلة . وان كان لنا ان نتمنى هذه الفترة النقدية الناشطة ، فان هذه الفائدة يجب ان تنعكس، حسبما يقول ولسون ، على « اهتمام اكثر اليقظ بمضامين ما يقوم به الفنان ، اي بمسؤوليته » . وان حصل هذا ، تكون المجلات الفصلية قد ادت خدمة لاتقدر بثمن . يقول ليونيل ترلنغ في مقالة اسمها « وظيفة المجلة الصغيرة » ان هذه المجلات تحاول ان تبقي الطريق مفتوحة. لقد حافظت على حضارتنا من ان تصبح حذرة ، او مستقرة ، او من ان تكون محض اجتماعية او محض تقية...انها تجعل الممثلين الرسميين للادب يشعرون بشيء من القلق... تبقي تيارا مضادا يتحرك ، تيارا قد لا يدركه احد ادراكا تاما الا بعد ان يتوقف عن الحركة » .

وهكذا فان ما يقوله ستيفن سبندر عن المجلات هو، بالنسبة لي ولهذه الدراسة ، خارج الموضوع . فنحن لا نريد ، نوع « انكاونتر » الذي يصفه ، ولكننا من الناحية الاخرى نحتاج ، ونريد ، نوع المجلة الذي يصفه ، ان كنا نريد تراثنا الادبي الطويل ان يدوم . انها لحقيقة مثبطة للعزيمة الا يكون لدينا بيتس